حماة الشماء

مدينة الحضارة ورمز الشموخ و الإباء

بقلم: أ. مصعب الشقفة

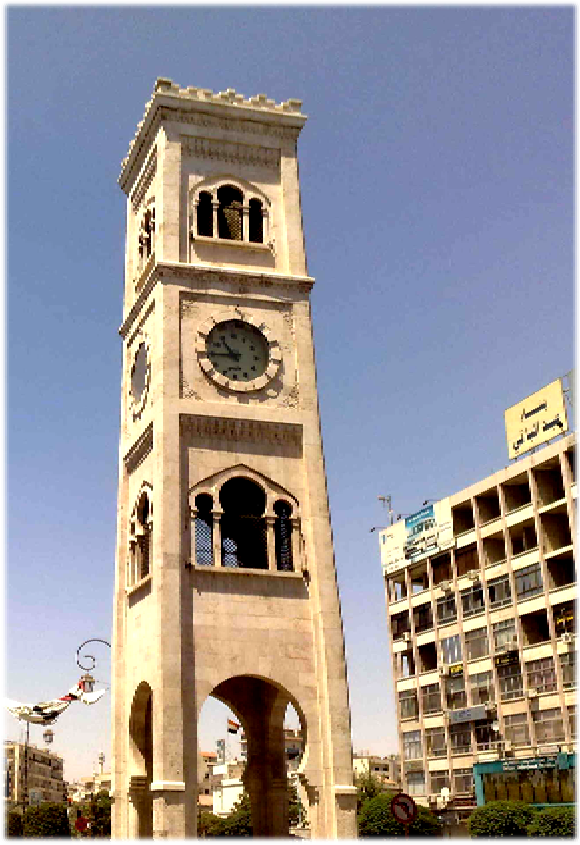

ساعة حماة الأثرية

مدينة حماة من كبرى مدن الشام العريقة، وحاضرة من حواضر العالم العظيمة، امتازت بطبيعتها الخلابة، ومناظرها الجميلة، التي تمنح النفس انشراحاً وانبساطاً، وتأخذ بألباب القلوب محبة ونقاء، يجوس خلالها نهر قديم، يحفر بذاكرته الدهور و العصور، يشطر المدينة إلى شطرين فيحيلهما إلى روضتين جميلتين يسمى هذا النهر العاصي، فقد عصى كل الأنهار وخالفها، فاتجه من الجنوب إلى الشمال، يسقي بنواعيره الدائرة بساتينها وجنانها فيحيلها إلى واحة وارفة الظلال، كثيرة الخضرة و الغلال، بهية المناظر و الجلال، وهذه المدينة العريقة، الموغلة في القدم، هي عنوان الكبرياء، ورمز الشموخ و الفداء، درة الشام، وزهرة المدائن، ما استوطنها غريب إلا أحبها، وما فارقها حبيب إلا حنّ إلى مرابعها و أرضها، عريقة في صحبة الزمان، عصية على النسيان، أسرت عيون الرحالة فنعتوها بأجمل الأوصاف، و أرق التعابير، و أحلى الكلمات، وهم لم يلبثوا فيها إلا سويعات، ولم يخالطوا أهلها إلا أياماً، فرأوا ما يراه الغريب من حسن الاستقبال، وحفاوة الترحاب، وكرم أهلها و شجاعتهم و نخوتهم التي عرفت عنهم منذ غابر الأزمان، وتمسكهم الشديد بأهداب الدين الحنيف حتى بلغ بهم حد الالتزام الشديد بتعاليمه ومقاصده العامة.

وصفها الرحالة ابن بطوطة الطنجي بقوله: ((حماة إحدى أمهات الشام الرفيعة، ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق، و الجمال الفائق، تحفها البساتين و الجنان، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات، يشقها النهر المسمى العاصي، ولها ربض سمي بالمنصورية أعظم من المدينة في الأسواق الحافلة و الحمامات الحسان، وبحماة الفواكه الكثيرة، ومنها المشمش اللوزي إذا كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة)).[1]

(١) - تحفة النظار في غرائب الأمصار، للرحالة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ص ٨٦.

أصابها زلزال عظيم هائل في منتصف القرن السادس سنة ٥٥٢هـ، أدى إلى خرابها وتدميرها، وقتل عدد كبير من أهلها، تنبه إليها الملك العادل نور الدين الشهيد، فأعاد بناءها، و أعلى ذكرها، وجملها بالصروح الضخمة، و القصور الفخمة، و الأسواق العظيمة، والمدارس الهائلة، و المساجد الجميلة، حتى غدت في عصره من أمهات مدن الشام، ودرة مدائنه، وزاد ملوك بني أيوب في بنائها و إعلاء كعبها حتى أضحت في عصرهم من مراكز الثقافة العربية الإسلامية ، وحاضرة من حواضر العالم التليدة وموئلاً للعلماء و الفقهاء، ومقصداً لطلبة العلم ورواده، أغرت الكثير من الزائرين بالإقامة فيها، وذلك لكثرة خيراتها، وطيب هوائها، واعتدال أجوائها، وعذوبة مائها، وشهامة سكانها، ونخوة أعيانها، وحفاوة ملوكها بالعلماء و الأدباء و الشعراء و أصحاب العلوم في كل فن، وشهرة علمائها و فقهائها و أدبائها الذين ضربت لهم أكباد الإبل، ورحل إليهم الطلبة من أصقاع المعمورة.

ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان بقوله: ((ولها ذكر في التوراة، وهي على ضفة العاصي، مكينة البناء، ولها سور جليل، وبيوت ملوكها وشرفاتها مطلة على نهر العاصي، وبها القصور الملكية، و الدور الأنيقة، و الجوامع و المساجد، و المدارس و الربط، و الزوايا، و الأسواق التي لا تعدم نوعا من الأنواع، و بها قلعة منيعة بالحجارة الملونة ، وغالب مبانيها العليّة، و آثار الخير و البر باقية فيها، من فواضل نعم الدولة الأيوبية وبها نواعير مركبة على العاصي، تدور بجريان الماء، وترفع الماء إلى الدور السلطانية، ودور الأمراء و الأكابر و البساتين، وفي بساتينها الغراس الفائق، و الثمار الغريبة، ولم يكن لها في القديم نباهة ذكر وكان الصيت لحمص دونها، ثم تنبه ذكرها في الدولة الأتابيكية فلما آلت إلى ملوك بني أيوب، مصّروها بالأبنية العظيمة، و القصور الفائقة، و المساكن الفاخرة، وتأمير الأمراء وتجنيد الأجناد فيها، وعظموا أسواقها وزادوا في غراسها، وجلبوا إليها من أرباب الصنائع كل من فاق في فنه إلى أن كملت محاسنها وصارت معدودة من أمهات البلاد و أحسن الممالك، وهي في غاية رفاهية العيش، إلا أنها شديدة الحر محجوبة الهواء، ويعرض لها في الخريف تغير ينسب به إلى الوخامة، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف كما يبقى في بقية الشام، و إنما يجلب إليها مما يجاورها، وحولها مروج ممتدة، يكثر فيها مصايد الطير و الوحش، وليس بالممالك الشامية بعد دمشق لها نظير، ولا يداينها في لطف ذاتها من مجاورتها قريب أو بعيد.....))[٢].

طبيعتها الخلابة فتقت قريحة الشعراء في وصفها منذ قديم العصور حتى وقتنا الراهن، و أطلقت مارد الشعر من قمقمه، يقول الشاعر العراقي الكبير أحمد الصافي:

---

(٢) - نقلا عن كتاب حماة للأستاذ عبد المجيد الشقفي ص٧٨_٧٩.

هذي حماة مدينة سحرية ... وأنا امرؤ بجمالها مسحور
يا ليت شعري ما أقول بوصفها ... وحماة شعر كلها وشعور
أنى مشيت فجنة و خمائل ... أو أين سرت فأنهر وجسور
أي المناظر من حماة أصطفي ... وإليّ كلٌ بالجمال يشير
يا ليت أني كنت فيها طائرا ... وعلى المناظر كلهن أطير
وبها نواعير متى أبصرتها ... أبصرت أفلاك السماء تدور
تبغي مصافحة السماء إذا علت ... فيردها شوقاً إليه غدير
تبدي من الأزل الأنين كأنها ... منذ البداية عاشق مهجور(٣)

ذكرت في العهد القديم باسم حمت الكبرى، و التي ضمت في تبعيتها معظم بلاد الشام، تميزاً لها عن حمت الصغرى في كيليلية، وسكنتها ذرية حام بن آدم عليه السلام، ثم هاجر إليها الكنعانيون و استوطنوها قبل ٢٥٠٠ سنة من الميلاد وعرفت باسم الحثيين. و أما أصل تسميتها فقد اختلف الباحثون و علماء الآثار فيه، لعمق جذورها الضاربة في التاريخ، وقدم آثارها الموغلة في الحضارة ، فقد عثر في موقع العشارنة (شمالي حماة ٣٦كم) على أقدم المواقع الأثرية في الشرق الأوسط، منها فؤوس يديوية و أدوات صخرية، تعود إلى عصر مندل الجليدي أو إلى العصر الجليدي الفاصل. واسمها ينسب إلى الابن الحادي عشر لأولاد كنعان، بينما يرى أنغولست Angolist أن تسميتها أتت من اسم أول ملك آرامي لها يدعى حماة، وفي اللغة الآرامية معناها الحصى أو القلعة، وحماة من حمث السريانية أو حم العبرانية، تعني سخن أو صار حاراً، ويرى روبنسون Robinson أن اسم حماة قد أطلق على عدة مواقع منها مدينة هيت في العراق، وقد ذكر ذلك في العهد القديم، و على مدينة ربلة الواقعة على الحدود السورية اللبنانية حالياً.

صالح أهلها الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه سنة 17 هـ واتخذت كنيستها العظمى جامعاً للمسلمين، وهاجرت إليها القبائل العربية زمن الفتح وبعده، واستقرت في أطرافها و التي دعيت باسم الحاضر، وكان لهذه الهجرات الأثر الأكبر في التركيب

(٣) - المصدر السابق ص ٢١٦-٢١٧.

البشري و القبلي في مدينة حماة وشمالها حيث تعزز وجهها العربي، وتعمقت جذورها الإسلامية[٤]. وكانت أكبر القبائل العربية التي سكنتها، قبيلة قيس المضرية التي طبعت المدينة بطابعها و طباعها، حتى أضحت كلمة قيس مرادفة لكلمة حموي، بالإضافة لقبيلة كنانة وخزاعة وتنوخ و غيرها. ولكن النواة الرئيسية و الصبغة العامة و السمات و الخصائل في حماة طغت عليها القيسية في حين طغت على حمص اليمانية، وفي قيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((رحم الله قيساً، إنه كان على دين أبي إسماعيل بن إبراهيم، يا قيس حي يمناً، ويا يمن حي قيساً، إن قيساً فرسان الله في الأرض، و الذي نفسي بيده ليأتينّ على الناس زمان ليس لهذا الدين ناصر غير قيس، إن لله فرساناً من أهل السماء مسومين، وفرساناً في الأرض معلّمين، وفرسان الله في الأرض قيس، و إنما قيس بيضة تفلقت عنا أهل البيت إن قيس ضر الله في الأرض))[٥] يعني أسد الله. وفي رواية أخرى عن غالب بن حجر قال: ذكرت قيس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((رحم الله قيساً)) قيل يا رسول الله ترحّم على قيس؟ قال نعم، إنه كان على دين أبينا إبراهيم خليل الله، يا قيس حيّ يمناً ويا يمن حيّ قيساً، إنّ قيساً فرسان الله في الأرض، و الذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان ليس لهذا الدين ناصر غير قيس بيضة تفلقت عنا أهل البيت إنّ قيسا ضراء الله. وفي الجامع الصغير للسيوطي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((غرة العرب كنانة، وأركانها تميم، وخطباؤها أسد، وفرسانها قيس و لله تعالى من أهل الأرض فرسان و فرسانه في الأرض قيس))[٦].

و في قيس يقول النابغة الذبياني:

ألا إنّما نيرانُ قيسٍ إذا شتوا لطارق ليلٍ مثلُ نارِ الحباحبِ[٧]

أضحت حماة قاعدة صلبة، وثغراً متقدماً تجاه الممالك الصليبية المنتشرة في ربوع بلاد الشام، فتنبه لذلك الملك العادل نور الدين الشهيد، فأعلى كعبها، وبنى أسوارها، وزاد في تحصيناتها لتكون شوكة في مواجهة الصليبيين، وإفشال مخططاتهم، وكان لجيشها الفضل الأكبر في الانتصار في معركة حطين حيث أطبقت القوات الحموية على جيش ريموند الثالث صاحب طرابلس بشكل كامل، أدت إلى فراره وقتل المتبقي من قواته[٨]، وظلت القوات

(٤) - انظر مملكة حماة الأيوبية للأستاذ عدنان سعد الدين ص١٣-١٧. مملكة حماة الأيوبية للأستاذ أحمد غسان سبانو ص٢٤-٢٧.
(٥) - الطبراني وابن منده وابن عساكر عن غالب بن حجر.
(٦) - ذكره ابن عساكر عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.
(٧) - انظر كتاب حماة للأستاذ عبد المجيد الشقفي ص٢١٩-٢٢١.
(٨) - الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامه ٢/٧٠-٧٥.

الحموية تشكل جهة الميمنة في القوات الإسلامية، منذ زمن الناصر صلاح الدين الأيوبي وحتى زمن المماليك، إذ أصبح من الفأل الحسن بقاء جيش حماة في الميمنة نظراً للانتصارات التي تتحقق في كل معركة يشترك فيها، وهذا ما دعا سلطان المماليك الملك المنصور قلاوون إلى أن يقول لملك حماة المظفر الثالث محمود أنت ولدي و أعز من الملك الصالح عندي، فتوجه لبلادك، وتأهب لهذه الغزاة المباركة، فإنك من بيت مبارك، ما حضرتم في مكان إلا وكان النصر معكم [٩].

و أبلت القوات الحموية بقيادة ملكها المنصور مع القوات الإسلامية بقيادة السلطان قطز بلاء حسناً في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، وكان النصر فيها حليف المسلمين، ولا شك في أن عين جالوت كانت نقطة تحول خطيرة في تاريخ الشرق الأدنى أنقذت مصر و الشام من براثن المغول وخطرهم، وجعلت دولة مغول فارس تقف عند حدود العراق، هذه المعركة الفاصلة في تاريخ الإسلام، جعلت الشاعر الوزير ابن الرفاء يمدح ملك حماة المنصور بقصيدة عصماء يقول فيها[١٠]:

رُعْتَ العدا فضمنت تلَّ عروشها ... ولقيتها فأخذتَ فلّ جيوشها
نازلت أملاك التتار فأُنزِلَتْ ... عن فحلها قَسراً وعن إكديشها
فغدا لسيفك في رقاب كماتها ... حصد المناجل في يبيسِ حشيشها
رَويت أكباد القنا بدمائهم ... لما أطال سواك في تعطيشها
أقدمت مقتحما على نشابها ... تكسوا الجياد رياشها من ريشها
دارت رحى الحرب الزبون عليهم ... فغدت رؤوسهم حطام جريشها
حتى حفظت على العباد بلادها ... في روحها الأقصى إلى أحبوشها

هكذا كانت حماة ولا زالت، لم تهدأ حميتها، أو تذهب سجيتها، أو تَخُرْ قواها أو تضعف إرادتها، فمنذ دخول الفرنسيين سوريا عام ١٩٢٠م وإسقاطهم حكومة فيصل الأول، ظلت حماة مضطربة لا يستقر الاحتلال بها، ففي عام ١٩٢٥م انتفضت مدينة حماة وريفها بثورة كبرى ضد المستعمر الفرنسي بقيادة البطل فوزي القاوقجي، واستولى المجاهدون على المدينة بأسرها، وطردوا القوات الفرنسية إلى خارجها، ولم يستطع المحتل أن يقضي على ثورتها إلا

---

(٩) - المختصر في أخبار البشر ٣٣٢/١ . مملكة حماة الأيوبية ص٥٤.
(١٠) – الأدب في بلاد الشام، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، للدكتور عمر موسى باشا ص ٣٨٢.

بقصفها جوًّا، فأغارت الطائرات الفرنسية عليها، وقصفت أحياءها، وهدمت بنيانها، وقتل العديد من النساء و الشيوخ و الأطفال لإجبار أهل المدينة على الخنوع و الاستسلام للمستعمر، وفعلت بدمشق مثلما فعلت بحماة، وفي هذه الحادثة الجلل يقول الشاعر عز الدين التنوخي واصفاً ما حل بدمشق وحماة من جور الاحتلال الفرنسي:

قــف بالمنــازل نادبــاً أطلالهــا ... مــاذا يفيــدك أن تطيــل ســؤالها
قد أحرقت عمدا دمشق فلــم تعــد ... تصف الجميلة للــورى بجمالهــا
أعلمت أن حماة لــم يَــدَعُوا بهــا ... حجراً على حجرٍ يُريــك ظلالهــا
وسوى النــواعير التــي بنواحهــا ... تبكــي حمــاة نســاءها ورجالهــا

وفي هذه المأساة يقول الشاعر خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام إذْ هزت وجدانه مجزرة حماة ودمشق:

النــار محدقــة بجلّــق بعــدما ... تركت حماة علــى شــفير هــار
الطفل في يد أمــه عــرض الأذى ... يُرْمــى ولــيس بخــائضٍ لغمــار
الشــيخ متكــئٌ علــى عكــازه ... يُرْمى ومــا للشــيخ مــن أوزارِ
لهفي علــى المتخلفــين برحبهــا ... كيف القــرار ولات حــين قــرار

أما في ثورة عام ١٩٤٥م، و التي أدت إلى جلاء المستعمر الفرنسي عن أرض سورية الحبيبة، فقد سطر المجاهدون الحمويون أروع صفحات البطولة و الفداء، وسيطروا على المدينة وطردوا الفرنسيين خارجها، مما دعا الجنرال باجيت قائد الجيش الإنكليزي إلى أن يقول: نحن أنقذنا جميع المدن السورية من الفرنسيين، و أنقذنا الفرنسيين من أهل حماة. وهذه البطولة و الرجولة التي أبداها أهل حماة أثارت إعجاب الأستاذ فارس خوري رئيس البرلمان السوري لعدة مرات، فقال معجبا بصمود أبناء المدينة وجهاد رجالها:

حماةُ بها عزُّ العروبــة و النــدى ... لها في مضامير الجهــادِ مفــاخرُ
بها من أطاع الشعب نال كرامــة ... وفيها على العاصي تدور الــدوائر

مما يذكر في هذا المضمار أنَّ طه حسين، عندما مر بحماة في طريقه إلى معرة النعمان للمشاركة في إحياء ذكرى أبي العلاء المعري، وقف على أعتاب فندق أبي الفداء الكبير الحكومي، وقال وهو يصعد درجات الفندق: إني أشم رائحة العروبة في هذه المدينة[١١].

واشترك المجاهدون الحمويون في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤٠م، ولا زالت قبورهم في مدينة الموصل شاهدة على بطولاتهم وتضحياتهم، وذهبت سرايا المجاهدين من حماة إلى فلسطين لمقاومة العصابات الصهيونية بقيادة البطل سعيد العاص، كما اشترك مجاهدوها في ثورة تحرير الجزائر وفي أغلب الثورات العربية والإسلامية، وسقوا بدمائهم الزكية الطاهرة ربوع وطننا الكبير.

وهذا ليس غريباً على رجال حماة وعلمائها و أعيانها، فقد استشهد الأديب الفقيه الشاعر الحسين بن رواحة الأنصاري الحموي في شعبان سنة ٥٨٥هـ، وهو يدافع عن خيمة الناصر صلاح الدين الأيوبي، عندما اندفع جماعة من الصليبيين يريدون الفتك بالسلطان وقتله، أما الفقيه شهاب الدين الحموي فقد كان في مقدمة الجنود المقاتلين في صد الضربات العنيفة التي وجهها الصليبيون بغتة إلى مدينة حماة سنة ٦٠١هـ، وفي هذا يقول المؤرخ أبو شامة واصفاً ثبات الفقيه وجرأته عارضاً لبطولاته وتضحيته: ولولا وقوفه ما أبقوا أحداً من المسلمين.

وهذا الحديث يقودنا إلى ذكر العلوم و المعارف و الآداب و الفنون في حماة، ومعرفة أكابر علمائها وفقهائها و أدبائها، ومراكز العلم فيها ومنشآته، ولو بإلمامة سريعة، لأننا لو أفردنا الحديث في ذلك لاحتجنا إلى مجلدات، فقد كانت حماة ولا تزال من أهم مراكز الثقافة والمعرفة أسوة بحواضر العالم المنتشرة في شرق العالم الإسلامي وغربه، وكانت لمدارسها ومعاهدها العلمية أوقاف دارة على الطلبة و المدرسين ومعيلة لهم، ليتفرغوا لطلب العلم، ويبذلوا في طلبه أقصى الجهد، فقد نقش على باب جامع النوري في الحجر ما يستفاد منه ، أن أحد الملوك وقف على طلبة العلم في حماة خمسة عشر ألف درهم في كل سنة استجلابا لأدعيتهم و إعانة لهم على طلب العلم، وقد ازدانت المدارس الحموية زمن الأيوبيين وزاد عددها، فهم الذين رعوا بيئتها العلمية، و أولوها عنايتهم واهتمامهم، وشجعوا الحركة الثقافية المعرفية فيها، ورفدوها بنوابغ العلماء و الأدباء و النحاة و الأطباء و المهندسين من شتى بقاع العالم الإسلامي، فمن هذه المدارس التي اشتهرت في كتب التاريخ و التراجم، المدرسة العصرونية وممن تولى التدريس فيها شيخ الشيوخ تاج الدين بن المغزل الحموي الذي اشتهر

(١١) - الإخوان المسلمون في سورية للأستاذ عدنان سعد الدين ٧٨/١

بالفقه و العلم و الفتوى و الدين و الورع و العفة، ويوجد مدرستان بحماة أحدهما للحنفية و الأخرى للشافعية، من بناء نور الدين الشهيد في حدود سنة ٥٨٠هـ، و بنى الأيوبيون فيها المدرسة المظفرية و المدرسة السلطانية المنصورية و المدرسة المحمودية و المدرسة المؤيدية نسبة لملكها العالم أبي الفداء عماد الدين إسماعيل، وفيها المدرسة الخاتونية و الطواشية و القرناصية التي بناها الأديب الشاعر و الفقيه العالم مخلص الدين بن قرناص الحموي سنة ٦٥٩هـ، أما المدرسة العزية فهي من بناء الشيخ محمد بن حمزة العزي بجوار جامع العزي في حدود سنة ٧٢٧هـ، و المدرسة السفاحية و الصهيونية ، و الزينية التي بناها العلامة أبو البركات عبد الرحمن بن عبد القاهر بن موهوب الحموي ودفن بها لما توفي سنة ٦٥٩هـ، ومدرسة ابن مشطوب وتنسب للأمير سيف الدين بن المشطوب، وممن درس فيها العلامة الفتح الجزري، و المدرسة الجلدكية وتنسب للأمير شجاع الدين جلدك، و المدرسة البارزية بناها ابن الولي البارزي بجانب جامع البارزي وجعلها خاصة بتدريس الفقه الشافعي، و المدرسة الآمدية وتنسب للأصولي المشهور سيف الدين الآمدي، و المدرسة الافتخارية و النجمية ومدرسة دار الحديث، ودار القرآن التي أنشأها نجم الدين بن توتان بن باروق سنة ٥٨٤هـ، وهناك دار للقرآن أخرى أنشأها العلامة المقرئ محمد بن أبي بكر الشافعي المشهور بابن السمين الحموي، وقد نقش على الحجر في مدخل الدار ((أمر بعمل هذه الدار المباركة السيد الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي خلا قبلها وما استثنى، وجعلها دار قرآن، ووقف عليها أوقافاً كثيرة لتسكن في هذه الديار من فقراء المسلمين الغرباء مقيمين بها ليلاً ونهاراً. يتلون كتاب الله، ويتذاكرونه بينهم، ويدعون للواقف ولوالديه و للمسلمين، وقرر بها شيخين يعلمونهم القرآن الكريم. ويكون مقام الفقير فيها مدة خمس سنين فإن ختم القرآن أو مضت المدة المعينة فيكسى ثوباً أو جبة جعلها الله خالصة لوجهه الكريم في شوال سنة خمس عشر وسبعمائة للهجرة)) ولم يقتصر الحمويون في بناء المدارس على حماة بل نجد التاجر الحموي المشهور أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن رواحة ، يبني مدرستين بدمشق وحلب ويجعلهما مخصوصتين لفقهاء الشافعية، وممن تولى التدريس في الرواحية الشامية ابن الصلاح رحمه الله[١٢] وأنشأ الملك الغالب فتح الدين صاحب حماة المدرسة الفتحية[١٣] أما الملك تقي الدين عمر مؤسس مملكة حماة الأيوبية فقد بنى بدمشق المدرسة التقوية وهو الذي أنشأ مدرسة للشافعية في القاهرة واشترى الروضة، وحمام الذهب

(١٢) - طبقات الفقهاء الشافعية للإمام تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن السهرزوري المعروف بابن الصلاح ١٦٤/١

(١٣) - طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٨٠/٢

و أملاكاً أخرى أوقفها عليها[١٤]. وبنى أبو الفداء عماد الدين إسماعيل مجمعاً عمرانياً حضارياً ضم في جنباته جامع الدهشة وحمام الدهشة وقصر الدهشة بالقرب من ناعورة الدهشة، ليكون مأوى للأدباء و الشعراء و العلماء و الفقهاء و النحاة، يجتمعون فيه و يتداولون قضايا الدين و السياسة ، ويناقشون فيه الفتاوى و الاجتهادات النحوية و الفقهية، ويسمعون فيه فصيح الشعر و أعذبه، تحت مرأى ومسمع ملكها الفاضل، الذي قال عنه ابن الجزري في تاريخه: ((شارك العلماء الفضلاء في فنون من الفقه و النحو و العربية والأصول وعلم الهيئة والهندسة و التاريخ،وكان يحب أرباب الفضائل، وعليه رواتب كثيرة لهم و لأرباب البيوت، ولا يخيب من قصده))[١٥]. وكان قصر الدهشة وجامعه محل الحديث و المباهاة في مصر وبلاد الشام، لذلك وصفه الشعراء وأخذ عنه الأمراء، فقال صفي الدين الحلي في قصيدة رثاء الملك أبي الفداء:

إذا ذكرت حمى العاصي وملعبه و القصر و القبة العليا بمرقبه

وظل ذكر هذا المجمع العمراني إلى عهد الشاعر تقي الدين بن حجة الحموي، ففي قصيدة يمدح فيها قاضي القضاة بحماة العلامة تقي الدين أبا بكر الخيثمي الحموي يقول فيها:

يروق امتداد الجسر و القصر فوقه فيحلو طباق العيش بالمد و القصر.

وقد أخذ السلطان إسماعيل بن محمد قلاوون عن هذا القصر وبنى قصراً مشابهاً له في مصر اتخذ نفس الاسم. وبعث المهندسين المصريين إلى حماة ليشاهدوا هذا البناء ويبنوا على منواله في مصر[١٦].

ناعورة في حماة

واشتهرت حماة بكثرة مساجدها وجوامعها، وجمال حماماتها وأناقتها، وبديع صنع نواعيرها الدائرة التي تسقي قصورها وبيوتها وحماماتها ومساجدها، ولا نريد ذكر جوامع حماة ومساجدها لأن ذلك يحتاج إلى مقالة مستقلة، ولكن نذكر هنا جامع القلعة الذي بني في قلعة حماة، و الذي ران عليه النسيان، ولم يبق منه إلا الأطلال، لأهميته التاريخية في رعاية العلم و الثقافة، فقد كان يرتاده الملك و أسرته و أبناء بني أيوب

(١٤)- مملكة حماة الأيوبية ص٤٨.
(١٥) - تاريخ ابن الجزري ٥٤٠/٢
(١٦) - مملكة حماة الأيوبية في مواجهة الحملات الصليبية والزحوف المغولية ص١٤٦_٢٠٩_٢١٠

ومماليكهم و الأمراء و الأعيان و الوجهاء ومن له حظوة ومنزلة، وكان يعين فيه للخطابة و التدريس أبرز علماء حماة ونوابغهم، نذكر منهم على سبيل الإيراد لا الحصر، العلامة عبد الرحمن بن عثمان بن يعقوب الحموي وابنه شرف الدين يعقوب الذي اشتهر بابن خطيب القلعة، وكان خطيباً مفوهاً، وواعظاً مؤثراً، وعارفاً بالقراءات والفقه والعلوم العربية صنف كتباً منها نظم الحاوي في فروع الشافعية توفي بحماة سنة ٧٧٤هـ[١٧].

ويذكر ابن واصل في حوادث سنة ٦١٦هـ، أن الملك المظفر تقي الدين محمود أمر بصعود أكابر حماة إلى القلعة للصلاة على والدته بنت الملك العادل، و أمهم إذ ذاك والده قاضي حماة العلامة سالم بن نصر الله الحموي، وهو الذي كتب نسخة اليمين التي استحلف بها الملك المنصور أهل بلده، ولده الملك المظفر تقي الدين محمود. وكان ابن واصل يحضر مع والده مجالس صاحب حماة، وهي مجالس علم وحكم، إذ كان أبوه يتولى منصب القضاء في حماة آنذاك[١٨].

ولقد اشتهرت حماة بكثرة علمائها المبرزين في شتى صنوف المعرفة و الفنون، وأسهموا في بناء الحركة المعرفية، ورفدوها بآرائهم و أفكارهم. وسجلوها في مؤلفاتهم وكتبهم، نذكر من هؤلاء العلماء على سبيل التدليل، القاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله الحموي المعروف بابن أبي الدم، حدث بالقاهرة وكثير من بلاد الشام وكان إماماً بالتاريخ، وله نظم ونثر، ومصنفاته تدل على فضله، ومن تصنيفاته أدب القضاء، وكتاب في تاريخ الفرق الإسلامية و قال الذهبي: له التاريخ الكبير المظفري، توفي سنة ٦٤٢هـ[١٩]، و القاضي جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله الحموي المشهور بابن واصل، قال عنه الذهبي: برع في العلوم الحكمية و الفلسفية و الرياضيات و الأخبار و أيام الناس، وصنف ودرس و أفتى، وبعد صيته واشتهر اسمه، وكان من أذكياء العالم، ونوادر الزمان ومن مصنفاته ((مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب)) توفي سنة ٦٩٦هـ[٢٠] ومنهم القاضي عبد الرحيم بن إبراهيم البارزي، قال الذهبي كان إماماً فاضلاً، فقيهاً أصولياً، أديباً شاعراً، له خبرة بالعقليات، وكان مشكوراً في أحكامه، وافر الديانة، يحب الفقراء و الصالحين، ودرس و أفتى وصنف، و أشغل مدة، خرج له الأصحاب في المذهب وله شعر رائق توفي سنة ٦٨٣هـ[٢١] ومنهم قاضي قضاة

---

(١٧) - الاعلام للزركلي ٣٠٠/٨
(١٨) - الحركة الفكرية في مصر للدكتور عبد اللطيف حمزة ص٣٠٠_٣٠١.
(١٩) - طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤٠٠/٢
(٢٠) - المصدر السابق ١٩٥/٢
(٢١) - المرجع السابق ١٧٩/٢

الجامع النوري في حماة من المساجد الأثرية

بغداد العلامة محمد بن المظفر بن بكران الحموي قال عنه أبو سعد السمعاني: إنه كان أحد المتوحدين في مذهب الشافعي رحمه الله، وكان ذا مقامات في النظر، مطلعاً على أسرار الفقه ومكنونه، كبيراً في الورع و الزهادة و التقوى و العبادة، حسن الطريقة، خشنها، جرت أمور في أحكامه على السداد و الإصابة، توفي سنة ٤٨٨هـ[٢٢]. ولقد تولى العديد من علماء حماة قضاء مصر زمن الأيوبيين المماليك نذكر منهم القاضي عماد الدين القاسم بن إبراهيم الحموي و القاضي تقي الدين محمد بن رزين الحموي الذي امتنع عن أن ينال أجراً على

(٢٢) - مرآة الجنان ١٤٨/٣

القضاء و العالم الفاضل المؤلف الكاتب الشاعر الأديب بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي، فخر حماة، وله أسرة من أعرق أسر مدينة حماة، بارك الله في كثير من رجالها، فخدموا العلم و الدين و الأدب و العدالة و القضاء خير الخدمات، وقد برع هذا القاضي في الفقه و الحديث و تفسير القرآن الكريم و الكتابة الإنشائية ونظم الشعر، ولما ذاع فضله وُكِّل إليه قضاء الشافعية بالقدس و خطابتها سنة ٦٨٧هـ، ثم جمع له بين القضاء و الخطابة بدمشق، وتولى ابنه عبد العزيز بن جماعة قضاء القضاة بمصر وغيرهم[٢٣]. ولقد وفد العديد من طلبة العلم إلى حماة لينهلوا من معارف علمائها، فها هو الذهبي يسمع بمدينة حماة على العلامة عبد العزيز عمر بن أبي بكر الحموي الصوفي، وقاضي حماة الحنفي العلامة عبد العزيز بن محمد بن أحمد الحلبي و العلامة محمد بن يعقوب بن إلياس الحموي، و الشيخة فاطمة بنت الحسين الأنصارية الحموية، و الإمام العلامة هبة الله بن عبد الرحيم البارزي[٢٤]. الذي بلغ رتبة الاجتهاد كما يقول عنه الذهبي[٢٥]، وكان جده القاضي إبراهيم البارزي حجة الله في القضاء على أهل عصره ومن تلاهم[٢٦].

ولا بد لنا أن نعرج على بعض المدارس التي ظهرت في بداية القرن العشرين، وكان لها إسهامات في حركة النهضة الفكرية و الدينية، وتخرج فيها أفذاذ العلماء و جهابذة الفقهاء، و القادة و الساسة وقواد الأحزاب السياسية نذكر منها، مدرسة العلم و التربية التي أنشئت في زمن فيصل الأول مدرسة شيخ الشافعية العلامة توفيق الصباغ الشيرازي، و المدرسة المحمدية الشرعية التي أسسها المربي الكبير العلامة محمود بن عبد الرحمن الشقفة على ظهر الجامع الشرقي، ومن أشهر العلماء الذين انتشر ذكرهم خارج حماة ومحيطها إلى العالم الإسلامي: العلامة إبراهيم الحافظ، ومفتي حماة العلامة محمد سعيد النعسان الوردي، و الشيخ سعيد الجابي، و الشيخ أحمد مراد و الشيخ خالد الشقفة، والشيخ محمد الحامد و المفكر الإسلامي سعيد حوى، والشيخ عبد الحميد طهماز، رحمهم الله جميعاً.

وإن كان من كلمة أخيرة، فليعذرني القارئ الكريم إن لم أستوعب جميع علماء حماة و أعيانها، فكل من ذكرت منهم ومن لم أذكر، يستحق أن يفرد له سفر خاص به، راجيا من القراء الكرام الذين يملكون معلومات تفصيلية عن بعض العلماء حماة، أن يزودونا بتلك المعلومات، لنفرد لهم تعريفا، يليق بقدرهم وعلمهم، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(٢٣) - عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي و الأدبي، تأليف الدكتور محمود رزق سليم ٢/٨٠/٨٧/٨٨/٩٦/٩٧/٩٨.
(٢٤) - الحافظ الذهبي تأليف عبد الستار الشيخ- ص٥٠.
(٢٥) - مرآة الجنان لليافعي ٤/٢٢٣.
(٢٦) - طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣١٩.

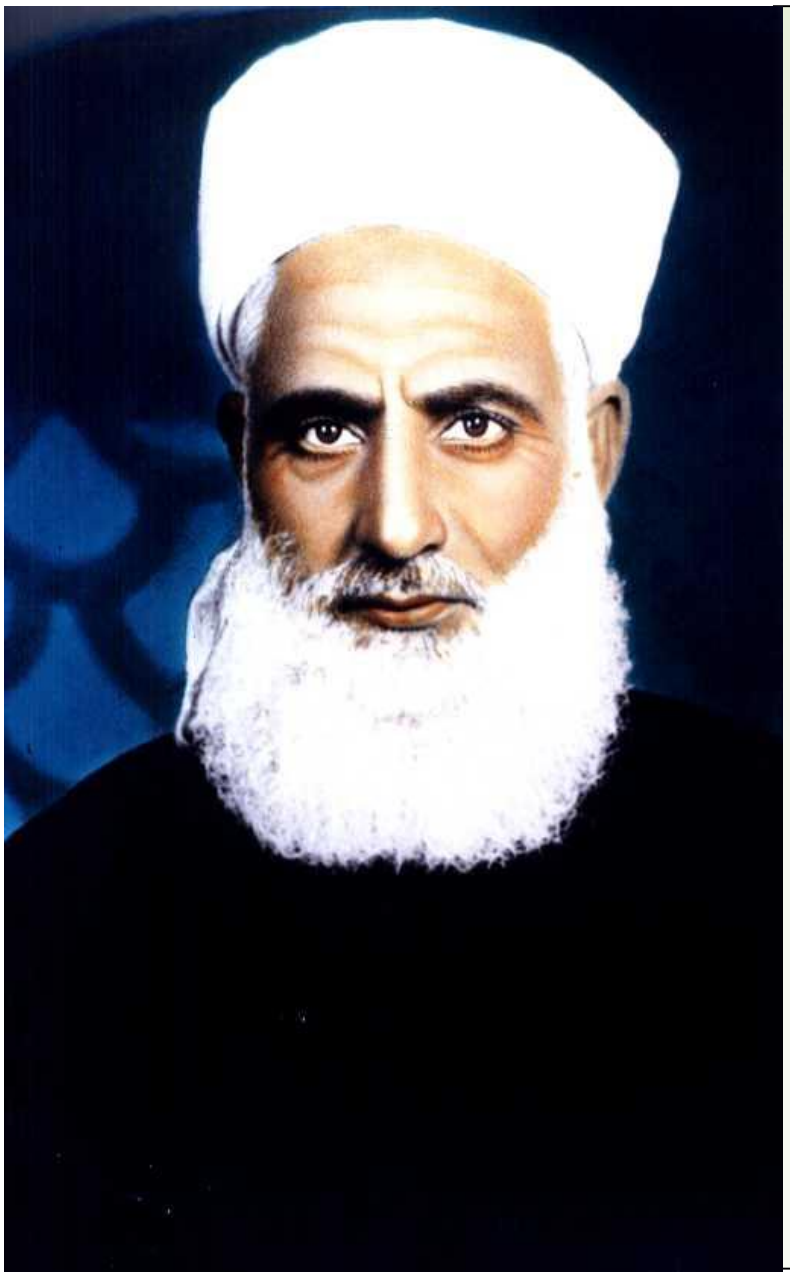

العلامة المجاهد

الشـــــيخ

محمد الحامد

(رحمه الله تعالى)

بقلم

أ.د. غسان حمدون

قرعت طبول الحرب العالمية، والأغذية وخاصة القمح قد التهمت الحروب أكثرها، ومن كان عنده قمح أخفاه حتى لا تسحبه الحروب، والشيخ محمود قد شعر بدنو الأجل وعنده ثلاثة أطفال فنظر الشيخ في أوضاعه فلم يجد مالاً وفره لأولاده، والبلاد تلفها المجاعات والأوبئة طوال الحرب العالمية الأولى، فأخذ يبحث عن وصي يوصيه فلم يجد، فكل إنسان ينشغل خلال أزمان الشدة بنفسه، فما كان من الشيخ محمود إلا أن اتجه إلى الله بقلبه يردد في مرض وفاته قوله: ((**إني أوصي الله على أولادي**)). بعد سنة من وفاة والد الشيخ محمد الحامد توفيت والدته أيضا، فكانت طفولته في غاية المشقة، محفوفة بالآلام، ثم تحسن الأمر بأن فرج الله عن هؤلاء الصبية الثلاثة، فكان مستقبلهم أخيراً كما يأتي:

١ - **أمّا بدر الدين الحامد**: فكان أديب حماة، وشاعر نهر العاصي، له ديوان شعري يثير فيه أهل حماة لمحاربة فرنسا، ويتجرد لتعليم أبنائها حتى صار مديرا للتربية والتعليم وهو أعلى مركز إداري علمي في حماة.

٢ - **وأما الشيخ محمد الحامد**: فقد درس في حماة في المدرسة الشرعية، وحصل على الشهادة الإعدادية، ثم في حلب فحصل على الثانوية، ثم درس في الأزهر الشريف في مصر فحصل على الشهادة العالمية، وشهادة القضاء، ورجع إلى حماة فأصبح مفتي العالم الإسلامي في رسائل يومية تأتيه أقلها (١٤) رسالة تأتيه كل يوم من شتى أنحاء العالم، ودرّس في مدرسة ابن رشد في الثانوية، وخرج أجيالا من الشباب المسلم، بل كان خطيب مسجد السلطان ومدرسه ليخرّج دعاة وعلماء وفقهاء ومفسرين.

٣ - **وأما عبد الغني الحامد**: فكان مدرسا للغة العربية، وكان الأستاذ الفذ في حماة، وأول رئيس لجماعة الإخوان المسلمين بها، ولأنه أول مركز للجماعة في سورية كان اتصاله مع الإمام حسن البنا (رحمه الله) مباشرة في مصر.

إنها دعوة المحتاج دعوة الشيخ محمود الحامد الذي أوصى الله تعالى على أولاده ومن يتوكل على الله فلن يخيبه بل هو حسبه ووليه. قال تعالى : **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)**.

شيوخه:

لم يكتف العلامة محمد الحامد بشيخ يأخذ عنه بل أخذ عن عدة شيوخ منهم:

١ - **خاله العلامة السلفي محمد سعيد الجابي**: وهو عالم حماة في زمانه، عرف بالجرأة بالحق في مواجهة المستعمرين الفرنسيين، يقول عنه العلامة محمد الحامد: **(إنه هو الذي دفعني في سبيل العلم الديني، وأمرني بحفظ القرآن الكريم، وأقرأني مبادئ العلوم الدينية)**[١]. توفي سنة ١٩٤٨م، رحمه الله تعالى.

٢ - **الشيخ محمد توفيق الصباغ**: وهو شيخ الشافعية بمدينة حماة ورئيس جمعية العلماء في حياته، يقول عنه العلامة الحامد : **(كان مديرا لدار العلوم الشرعية، وكان يبذل جهدا كبيرا في تثقيفنا وتعليمنا ويحنو علينا حنو الوالد الرحيم على صغاره)**.

٣ - **العلامة مفتي حماة الشيخ محمد سعيد النعساني**: شيد المدارس، وبنى الجمعيات الخيرية التي رعت العجزة والأيتام، هذا مع معرفته بمقتضيات العصر واستمساكه بأهداف الشريعة الغراء، وكانت فتاويه البلسم الشافي لكل قضية، وكل مسألة، وقد جاوز المائة وعشر سنين من العمر. فقد كان يموت قبله كل من طمع في وظيفة بوصفه مفتياً، لمدينة حماة حتى تواصى المشايخ أن لا يطمعوا فيها... توفي سنة ١٩٦٦ قبل وفاة العلامة الحامد بثلاث سنوات، وقد

(١)- علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد مجذوب ص٢٣٦. ومجلة حضارة الإسلام ص٥٠

عرض منصبه على الشيخ محمد الحامد فأبى ذلك لأمور رسمية سيكلف بها ولا يرتضيها لنفسه. فقد اختلف زمانه عن زمن المفتي السابق.

٤- **الشيخ أحمد الزرقا**: وقد تتلمذ الشيخ على يديه في المدرسة الخسروية الشرعية بحلب، وأخذ عنه الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وكان يقول عنه العلامة الحامد: **(ما جلست طيلة حياتي إلى أفقه منه لا في مصر ولا سورية)** وعرف بالأمانة العلمية، وكان يقول: **(العلم أمانة)** يخرج تقريراته العلمية بمخرج لطيف ومداعبات حلوة).

٥- **الشيخ عيسى البيانوني الحلبي**: **(هو الأستاذ العالم العامل _كما يقول عنه الشيخ_ ومن خلفاء الشيخ محمد أبي النصر كان رحمه الله تعالى مدرسا لنا في المدرسة الخسروية الشرعية لعلم التصوف والأخلاق وكان نفعه يسري إلى قلوبنا .....)**[٢]

٦- **الشيخ محمد أبو النصر الحمصي النقشبندي**: ولد في مدينة حمص سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧١م وهو أحد كبار الزهاد والصالحين في بلاد الشام يقول العلامة الحامد عن تأثره بشخصيته: **(والذي له في نفسي مكان الصدارة الأولى على الإطلاق والعموم، وله فيها بالغ التأثير العميق والشديد معا هو فضيلة سيدي العالم العامل والمرشد الكامل، مربي المريدين، ومرشد السالكين، العارف بالله تعالى الشيخ محمد أبو النصر النقشبندي قدس الله سره.. ولئن كان مني نفع للأمة فهو في صحيفة شيخي مسجل، إذ قد انتابتني نائبة روحية أيام دراستي في مصر كادت تشل فكري عن العمل وترميني بكارثة التعطل العقلي فكتبت إليه بما عناني، فرأيت فيما يرى النائم أنه مد يده الكريمة إلى قلبي وحركه بأصابعه الشريفة فاستيقظت وقد أبراني الله من العلة بعد أن حار إخواني المصريون بأمري)**[٣] وقد حدثنا الشيخ الحامد رحمه الله تعالى عن تعجب الإخوة المصريين من شفاءه من علّته. توفى الله تعالى الشيخ أبا النصر في سحر ليلة الجمعة ١٥/رمضان/١٣٦٨هـ

٧- **الشيخ أحمد مراد**: الفقيه الحنفي انتفع بعلمه خلق كثير سواء كانوا من أهل مدينة حماة أم من أهل الأرياف، وهووالد زوجة الشيخ محمد الحامد التي لا زالت في الأحياء عند كتابتي السطور الأولى من مقالي هذا، فقد توفيت في شهر صفر عام ١٤٣١هـ رحمها الله تعالى.

ويقول الشيخ محمد الحامد عنه: **(وقد أكرمني الله فجعلني صهراً له على ابنته، وقد كان هذا قبل أن يكون لي مورد رسمي ومنزل آوي إليه، ولكنه التوكل على الله سبحانه وتعالى والإيمان به والوثوق بما عنده)**.

---

(٢) - مجلة حضارة الإسلام (ص٥١)

(٣) - عبد الحميد طهماز، العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد ص١٩٤

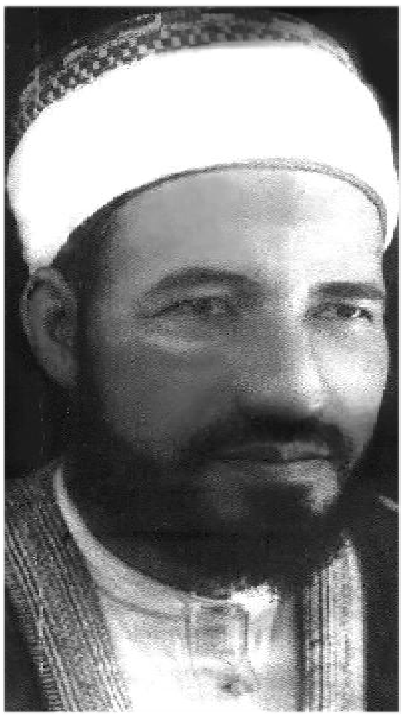

صورة نادرة للإمام حسن البنا

٨- **الإمام حسن البنا**: ولد حسن البنا عام ١٩٠٦م بمصر، وأسس حركة الإخوان المسلمين، وقتل غدراً أيام حكم الملك فاروق عام ١٩٤٩، والسبب الأساسي في قتله واعتقال أفراد جماعته في عهد الملك فاروق وبعده انه أرسل آلاف المجاهدين إلى فلسطين بل حرض أهل بلاد الشام على الجهاد أيضا، فكان هو في فلسطين من جهة مصر، والدكتور مصطفى السباعي والمجاهدون من بلاد الشام عند القدس في تعاون بين أهل الشام والمصريين المجاهدين، فقاتل المجاهدون قتالا عنيفا له أثره الواضح في جبهات القتال.

وقد عدّه الشيخ الحامد أهم شخصيات العصر، يقول عنه: **(والذي أثر في نفسي تأثيرا من نوع خاص وله يد في تكويني الشخصي سيدي وأخي في الله وأستاذي الإمام الشهيد : الأستاذ حسن البنا رحمه الله تعالى. ولما وافاني نبأ اغتياله قلت: إنّ موت ولديَّ، ولم يكن لي غيرهما حينئذ، أهون علي من وفاة الأستاذ المرشد... إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا من مئات السنين في مجموع الصفات التي تحلّى بها. وخفقت أعلامها على رأسه الشريف.....)**.

لقد سمعت بأذني الشيخ رحمه الله تعالى يذكر البنا بمزيد من الألم والحنان والحسرة ويقول عنه: **(عندما كنت أنظر إليه كنت أنظر إلى صديق من الصديقين، عندما كنت أجلس بجانبه فكأني بجانب جبل، كان عالماً ولو أطال الله بعمره لأصبح مجتهدا، كان متواضعا استقبل في بلدة مصرية استقبالاً حافلاً بالحفاوة والتكريم فنظرت إليه فلم يتغيّر)**. وكان يحدث تلامذته عنه طويلاً، فإذا رأى دموعهم قد انهمرت تشوقاً إلى الأمام وحزناً عليه انقطع عن الكلام[٤].

ويقول الشيخ الحامد: **(لا أنكر إرشاد المرشدين ، وعلم العاملين، ومعرفة العارفين،وبلاغة الخطباء والكاتبين، وقيادة القائدين وتدبير المدبرين، وحنكة السائسين لا أنكر هذا كله عليهم من سابقين ولا حقين لكن هذا التجمع لهذه المتفرقات من الكمالات قلما ظفر به أحد كالإمام الشهيد _ رحمه الله تعالى_، عرفه الناس وآمنوا بصدقه، وكنت واحدا من هؤلاء العارفين به، والذي أقوله فيه قولاً جامعاً هو أنه كان لله بكليته بروحه وجسده، بقالبه وقلبه،**

(٤) - نقول شخصية يشهد بها كاتب المقال.

وبتصرفاته وتقلبه، كان لله فكان الله له فاختاره واجتباه، وجعله من سادات الشهداء الأبرار).

لقد كان الشيخ محمد الحامد عضو جمعية العلماء في حماة التي كان يرأسها شيخه الشيخ توفيق الصباغ ثم الشيخ خالد الشقفة، وهي جمعية رسمية فتحت قديماً بترخيص من وزارة العمل، أما بقية علماء سورية فكان للشيخ الحامد علاقة طيبة بهم للتشاور في أمور المسلمين كان منهم الشيخ النبهاني في حلب والشيخ حسن حبنكة الميداني والشيخ عبد الكريم الرفاعي في دمشق والشيخ المسدي في حمص..... فكأن الشيخ في جمعية معهم للمودة والتشاور، فقد كان حريصاً على المسميات أكثر من الأسماء.

تلامذته:

قام الشيخ الحامد رحمه الله تعالى بتعليم العامة والخاصة، وله دروسه وخطبه ومواعظه لذلك...

فقد كان يدرس يومياً في جامع السلطان بعد المغرب بساعة ما يأتي:

١- السبت: درس في التفسير.

٢- الأحد: درس الفقه.

٣- الاثنين: درس الفقه.

٤- الثلاثاء: درس في الحديث.

٥- الأربعاء: درس في السيرة النبوية.

٦- الجمعة: درس في التفسير.

وكان ينتخب لهذا الدرس كتباً قيمة ترفع العامة إلى مستوى الخاصة، فتخرج على يده كثير من أهل العلم والفضل، ومن نعرض أسماءهم إنما هم نماذج لتلقي هذا العلم الغزير عن الشيخ، فمن تلامذته المؤلفين

١- **د. أحمد جواد**: ولد الدكتور أحمد جواد في بداية الأربعينيات من القرن العشرين، تخصص بالطب البيطري وأفاد من الشيخ الحامد. عمل طبيباً بيطرياً في سورية والإمارات والأردن، ألف كتابا قيما عن الخنزير بين فيه أضراره، توفي في عمان الأردن مهاجراً عام ٢٠٠٧م. رحمه الله تعالى.

٢- **د. حاتم الطبشي**: ولد في الأربعينيات من القرن العشرين، يحمل شهادة الدكتوراه في الفقه والتفسير، ألف كتباً في البطولات الإسلامية والسيرة النبوية شرح فيها قصيدة عصماء لشاعر العرب د. محمد نجيب مراد كما أن له مؤلفات أخرى أهمها تحقيقه في المحرمات في القرآن الكريم.

٣- **الأستاذ حسني الشيخ عثمان**: ولد في بداية الأربعينيات وقد أضاف إلى علومه الشرعية التي تلقاها عن الشيخ الحامد العلوم الإدارية، له أكثر من ستة عشر كتابا منها: حق التلاوة، وهذا أبوذر، والمشايخ والاستعمار، وتكنولوجيا الاجتماعات ومفاهيم إسلامية، ورسائل تقدمية عن الطبيعة والإله، ومعنى الإسلام، وهارون الرشيد وأصول تدريس التجويد،وأحسنوا أسماءكم، وغيره.

الشيخ: سعيد حوى (رحمه الله)

٤- **الشيخ سعيد حوّى**: هو سعيد بن محمد ديب حوى النعيمي ولد في ١٩٣٥/٩/٢٧ في مدينة حماة، عمل مع والده رحمه الله تعالى في تجارة المنتجات الزراعية، درس في حماة وتخرج من ثانوية ابن رشد، وأكمل دراسته في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ودرس على شيوخ كثيرين أشار إليهم في كتابه هذه تجربتي وهذه شهادتي.. توفي مهاجراً في عمان عام ١٩٨٩م . من مؤلفاته: الأساسفي التفسير والأساس في السنة، وسلسلة الأصول الثلاثة، فانتفع بها خلق كثير لترجمتها للغات أخرى، والمستخلص في تزكية الأنفس ومذكرات في منازل الصديقين والربانيين، وجند الله ثقافة وأخلاقا وانتفع به خلق كثير وخاصة دعاة إسلاميين درسهم في المدينة المنورة ثم توزعوا في العالم الإسلامي...، بطلا الحروب الصليبية، وفي آفاق التعليم، ودروس في العمل الإسلامي، وفصول في الإمرة والأمير، وإجازة تخصص للدعاة، والسيرة بلغة الحب، وجند الله تخطيطا وتنظيما، وهذه تجربتي وهذه شهادتي، وغير ذلك كثير[٥]... حاول أعداء الشيخ أن لا يتركوا مجالاً يرضاه لكي يكون أثره العلمي أوسع ونصرة للإسلام والمسلمين أكبر ، فأمضى عمره مسافرا ثم مهاجرا ومع ذلك نفع الله به خلقاً كثيراً .

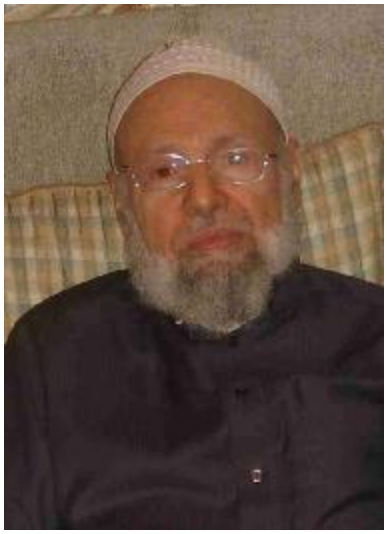

الشيخ/ عبد الحميد طهماز رحمه الله

٥- **الشيخ عبد الحميد طهماز**: ولد الشيخ في أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين، وهوأحد التلاميذ المقربين من الشيخ الحامد قدم الشيخ لأحد رسائله وهي **(الصحيح أن كل ما في البخاري صحيح)** فقال عنه الشيخ الحامد: **(وإن لي به الثقة المطلقة من حيث الإيمان العميق والتحقيق**

(٥) - انظر أسماء كتبه في كتابه (هذه تجربتي...)

الدقيق والعلم النافع). تسلّم الدرس المسائي اليومي في جامع السلطان بعد وفاة شيخة الحامد، ودرس الفقه الشافعي على الشيخ خالد شقفة بالإضافة إلى الفقه الحنفي والعلوم الأخرى التي تلقاها عن شيخه الحامد. توفي في شهر صفر من عام ١٤٣١هـ في مدينة الرياض رحمه الله تعالى، له كتب كثيرة. ومن أهم مؤلفاته: رسالة: الصحيح أن كل ما في البخاري صحيح، وإرشاد الناس إلى أحكام الحيض والنفاس، والفقه الحنفي في ثوبه الجديد في خمسة مجلدات، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه ــ **(سلسلة أعلام المسلمين)**، والعلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد **(سلسلة أعلام المسلمين)**، والأنساب والأولاد ــ دراسة لموقف الشريعة الإسلامية من التلقيح الصناعي، والنبي وأزواجه في سورة الأحزاب، والعواصم من الفتن في سورة الكهف، والحلال والحرام في سورة المائدة، وله تفسير موضوعي للقرآن الكريم في عدد من المجلدات.

٦- **أ.د. غسان حمدون**: ولد في الأربعينيات من القرن العشرين، وهو أحد المقربين من الشيخ الحامد، ويكن له محبة خاصة أعلنها في درسه العام المسائي في جامع السلطان بإجازة[٦] ، تخرج في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وحصل على الماجستير من جامعة البنجاب في لاهور بباكستان، ونال الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم في السودان، درّس في حماة ورأس العين في سورية والإمارات، وفي جامعة صنعاء، وجامعة العلوم والتكنولوجيا، والمعهد العالي للتوجيه والإرشاد، وقبل أن يهاجر من حماة كان له درس يومي مسائي في جامع نور الدين الشهيد في حماة في التفسير والفقه والسيرة على طريقة شيخه الحامد ومن مؤلفاته:

تفسير من نسمات القرآن، وتحت الطبع نفحات على نسمات القرآن، وإعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى، وكتاب الله في إعجازه يتجلى، وله عدة بحوث علمية في مجلات محكمة ارتقى بها إلى أستاذ دكتور، ومقالات ورسائل كان أهمها مقالات من كتاب أسماه **(الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب عصرنا الحديث)** وهي دراسات في الحديث الشريف ولم يكتمل الكتاب بعد، صدر منه أربع مقالات. وقد جعل مؤلفاته كلها للمسلمين على موقعه على النت www.hamdoun.net

٧- **الأستاذ الشيخ محمود الحامد**: ولد في منتصف الأربعينيات من القرن العشرين، تأثر بوالده كثيراً، وتعلم من علمه الكثير الكثير، وخاصة في الدرس الصباحي لوالده في كنز

---

(٦) - عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يا معاذ و الله إني لأحبك في الله ثم أوصيك لا تدعنّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك) قال النووي رواه أبو داود و النسائي بإسناد صحيح_ رياض الصالحين ص٢٠٢. ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ_١٩٨٥م. وذكر الشيخ هذا الحديث في الدرس العام في مسجد السلطان ثم قال: إنّ معاذاً قال لمن بعده إني أحبك في الله و ذكر تتمة الحديث ثم من بعده قال لمن بعده.... حتى وصلت إلي بالسند فقال الشيخ: يا غسان إني أحبك في الله فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول ((اللهم أعني على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك)). ثم أجازه في هذا الدرس العام بذلك لمن يحب في الله تعالى...

الدقائق للزيلعي في الفقه الحنفي وغيره... استلم منبر جامع السلطان بعد وفاة أبيه، وكان له خطب مؤثرة حماسية شديدة مقارعة للظلمة، له مؤلفات في حقل الدعوة الإسلامية، آخرها: هل ألقى المسلمون مراسيهم، وهو أشبه أولاده بأبيه من حيث التقوى والورع والفراسة.

٨- **د. خالد هنداوي**: ولد في أواخر الأربعينيات، شاعر وأديب وفقيه ومفسر له مجموعات شعرية كثيرة، من أهمها قصيدته في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم. تخرج في كلية الشريعة بجامعة دمشق وأخذ شهادة الماجستير من باكستان وشهادة الدكتوراة في المحرمات في القرآن الكريم من جامعة القرآن الكريم في السودان، وهورئيس تحرير مجلة بشائر الإسلام أخيراً. كثير التنقل في البلدان الإسلامية والغربية لنفع المسلمين علماً وأدباً ولبناء صروح عمرانية سامقة في المساجد والمستشفيات..، درّس في مدارس الإمارات، وجامعة صنعاء، وجامعة قطر.

وللشيخ تلامذة كثيرون مبدعون وعلماء اشتغلوا في التعليم والتربية منهم الشيخ نافع العلواني، والشيخ عبد الحميد الأحدب، والشيخ بشير الشقفة، وله مؤلفات كثيرة، منها: الفقه المالكي في ثوبه الجديد وحكم العورة في الإسلام وغير ذلك، والشيخ حسن السلق النجار، والدكتور سلمان نجار، والأستاذ الشيخ موفق عيسى، ومعن ريس، وفيصل عدي، والدكتور فؤاد البرازي، والشيخ فايز شيخ الزور، وعبد الحفيظ حداد، وغيرهم كثير. والسبب في كثرة تلامذة الشيخ وعمقهم العلمي أن الشيخ كثير الذكر لله تعالى، كثير العلم، يشرح لتلامذته أمهات الكتب، ويعلق عليها بأسلوب سهل. وأهم من ذلك أنه مع علمه الغزير يأتي درسه المسائي اليومي وقد حضر له في ثلاث ساعات من أمَّات الكتب أيضا، وهذا ما أدهش الأستاذ الزاهد العالم سعيد الطنطاوي لما زار حماة، وحضر درس الشيخ.

مؤلفاته:

تتميز مؤلفات الشيخ الحامد بخمسة أمور:

١- كان اهتمام الشيخ محمد الحامد الوحيد نشر كتبه بأرخص الأسعار، فلم يأخذ حقوقاً للطبع، فانتشرت مؤلفاته في كثير من البلدان العربية .

٢- وكان يخاف الله تعالى في التأليف في أن يصيبه رياء، وكان يقول: **(الإخلاص في التأليف أصعب من التأليف)** فكان يجاهد نفسه طلباً للإخلاص، ومن كتب بإخلاص كان أكثر تأثيراً في كتبه.

٣- كان الشيخ محمد الحامد يقول : **(تأليف الرجال أهم من تأليف الكتب)** لذلك شغل نفسه بالتربية للجيل المسلم بشكل مباشر، فقلـــّت كتابته بالنسبة لعلمه الغزير، كما قلـــّت كتابات بعض تلامذته لذلك..

٤- كان الشيخ الحامد ورعاً، فإذا علم خطأ علمياً في كتاب أو صحيفة انبرى للرد العلمي... لذلك ترى مؤلفاته تدور حول الردود على من أخطأ بالعلم الشرعي، وقد رأى في المنام كما يحدث تلامذته ومنهم كاتب هذه السطور أنه رأى نفسه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهويزيل أشياء غير لائقة وجدها عند المقام الشريف، فقصّ رؤياه على أحد مشايخه، فقال له: إنك ستذب عن هذا الإسلام أشياء ليست منه.

٥- كان الشيخ الحامد يرى أن لزاماً عليه أن يرد على السؤال المكتوب عليه كتابة، ويجيب على كل سؤال شرعي يأتيه مكتوباً من خارج حماة أومن داخلها، فكانت تأتيه الرسائل وما أكثرها من كل أنحاء العالم الإسلامي وأسئلة شرعية يرد عليها، والعجيب أن أحد السائلين كان يكتب شعراً فيضطر الشيخ إكراما له أن يرد بشعر أيضا، ويأتيه في اليوم أكثر من (١٤) رسالة يرد عليها جميعاً، فهو مفت عالميّ إسلامي عملياً، ولكن يرفض منصب الإفتاء العام للجمهورية في دمشق وكذلك في حماة رحمه الله تعالى لأن ذلك سيطلب منه مواقف رسمية غير لائقة بطالب العلم فضلاً عن العالم...

أما أسماء مؤلفاته ورسائله المنشورة فهي كما يأتي:

١- ردود على أباطيل: الجزء الأول والثاني والثالث.

٢- نظرات في كتاب اشتراكية الإسلام.

٣- نكاح المتعة حرام في الإسلام.

٤- رحمة الإسلام للنساء.

٥- حكم الإسلام في مصافحة المرأة الأجنبية.

٦-حكم اللحية في الإسلام.

٧- حكم الإسلام في الغناء.

٨- القول في المسكرات.

٩- بحث التدارك المعتبر لبعض ما في كتاب القضاء والقدر (رد).

١٠- آدم لم يؤمر باطناً بالأكل من الشجرة.

١١- بدعة زيادة التنويرات في المساجد.

١٢- لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسماً للفوضى الدينية. وغير ذلك

وقد جمعت بعض رسائله في كتاب تحت عنوان: **(مجموعة رسائل الشيخ محمد الحامد)**.

بعض صفاته الذاتية[٧]

(٧) - تم نقل الصفات الشخصية للشيخ من بعض ما كتب الطالب فتحي عبد القادر في رسالة الماجستير عن (العلامة محمد الحامد ومنهجه في الفقه و الفتوى).

ورعه:

عرف الجرجاني الورع بأنه " اجتناب الشبهات، خوفا من الوقوع في المحرمات، وقيل: ملازمة الأعمال الجميلة "[٨] وقال الزبيدي: والأصل: الورع هو الكف عن المحارم ثم استعير للكف عن الحلال والمباح، أي ما فيه شبهة"[٩]، والأرجح التعريف الأول للجرجاني، والورع من مكارم الأخلاق، ومن الصفات الإسلامية الحميدة التي يدعو إليها الدين، ويثني على صاحبها، وينال به الأجر الكبير، والفضل العظيم لوقوفه على أحكام الشرع واجتناب المنهيات، والورع من صفات المتقين، إذ يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس"[١٠].

كان الشيخ محمد الحامد ــ رحمه الله ــ متعلقا بأهداب الورع طوال حياته، فقد كان شديد الورع بالالتزام بالحلال والبعد عن الحرام واجتناب الشبهات في أعماله وتصرفاته، وفي كسبه ورزقه وإنفاقه، وفي عبادته ومعاملاته، كان رحمه الله تعالى يأخذ بالعزيمة في أحواله جميعها ويكثر من النوافل في أوقاته كلها، " وكان مضرب المثل في الورع حتى راح بعض الناس لا يقرونه على شدة يأخذ بها نفسه وحيطة تعلقت بها همته. ولقد أسبغ عليه ذلك الورع رداء المهابة، وجلباب القوة، فكانت له صولة ترهب ومكانة تعجب، أذعن لها الأصحاب والخصوم على قلة الخصوم"[١١].

وله في الورع قصص كثيرة نذكر منها:

ــ يروي عنه تلميذه الشيخ عبد الحميد طهماز فيقول: " وصل به الأمر في بعض الحالات، أن ترك المدرسة الشرعية في حلب عندما عرف أن أموال الوقف مخلوطة بغيرها، خوفا أن يدخل إلى جوفه شيء من مال حرام، تركها وخرج إلى القرى يبحث عن الرزق الحلال، حتى وصل إلى قرية " عرب ملك " على الساحل، قرب مصب نهر السن، وهناك التقى برجل صالح، نصحه أن يعود إلى المدرسة، مذكراً له أن الرزق الحلال الصرف الذي يبحث عنه لن يجده في مثل هذا الزمان بكلمة قالها له وهي: ليس بالإمكان أبدع مما كان"[١٢].

ــ يتحدث عنه أحد تلامذته ــ الدكتور عبد الرزاق الكيلاني ــ فيقول: " كنت موظفاً في المستشفى الوطني بمدينة حماة، وكانت سيارة دائرة الصحة تأتي كل صباح لتحملني مع باقي الأطباء إلى المستشفى، وفي أحد الأيام، ونحن ذاهبون إلى المستشفى بالسّيارة رأيت الشّيخ

---

(٨) ـ التعريفات للجرجاني (ص ٣٢٥).
(٩) ـ تاج العروس للزبيدي مادة (ور ع).
(١٠) ـ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع رقم (٣٣٧٥) وقال: حديث حسن غريب وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد رقم (٤٣٠٥). وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ١٦٨).
(١١) ـ مجلة (حضارة الإسلام)، عدد خاص بالشيخ محمد الحامد بعد وفاته العدد الثالث من السنة العاشرة ١٩٦٩م (ص٤٥).
(١٢) ـ العلامة المجاهد لعبد الحميد طهماز (ص ٢١٨).

محمد الحامد رحمه الله تعالى يسير في اتجاه سيرنا نفسه، فطلبت من سائق السيارة أن يقف لنأخذ الشيخ معنا، فوقف، وفتحت باب السيارة وقلت للشيخ رحمه الله تعالى: تفضل يا أستاذ لنأخذك معنا، فنحن نسير في اتجاه سيرك نفسه، فقال: هل السيارة لك ؟ قلت: لا، إنها لدائرة الصحة، قال: إذن لا أركب معكم، قلت: لماذا ؟ إننا سائرون في اتجاه سيرك نفسه. قال: أليس لي وزن، وإنّ وزني سيجعل السّيارة تصرف كميّة أكبر من البنزين، لذلك فلا أستطيع أن أركب معكم، وشكرنا وسار في طريقه"[١٣].

ــ " استأجر مرة حمّالاً ليحمل له صفيحة الكاز إلى البيت، وأرسل معه ولده ليدله على البيت، وأرسل مع ولده وعاء فيه قليل من الحليب، ولما سار الحمّال التفت إليه الشيخ، فوجده قد حمل وعاء الحليب أيضاً، فناداه قائلاً: إني لم أشارطك على حمل الحليب، فتعال خذ أجرته، فقال الحمّال: لا أريد أجرته، ولكن الشّيخ أصر عليه وأعطاه أجرته"[١٤].

شجاعته:

كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ جريئاً في الحق، يعلنه بكل قوة وثبات،وينطق به في كل خطبه ودروسه وفتاويه، ولا يخشى في الله لومة لائم، فهو يقف مع الحق والشرع حيثما كان، فالناس أمامه سواء لا فرق عنده بين شريف ووضيع، وقريب وبعيد، وعامي وصاحب منصب، فالصدع بالحق مأمور به في القرآن الكريم قال الله تعالى: " (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للنّاس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون)[١٥] وهو ما دفعه إلى أن يقول: " إن هذه التهديدات عملت عملها في نفسي، فدفعتني إلى البيان دفعا فرارا من لعنة الله إلى رحمته، وإنقــاذاً لمهجتي من عذابه الأليم وعقابه العظيم"[١٦].

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ : " فإن الحق قوي في ذاته والباطل ضعيف في ذاته، وما على صاحب الحق إلا أن يصدع بقوة، فلا يلبث الباطل أن ينهار وأن يولي أهله الأدبار

(١٣) ـ الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد، د. عبد الرزاق الكيلاني (ص ١٦٢).
(١٤) ـ العلامة المجاهد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٢٠).
(١٥) ـ آل عمران : ١٨٧.
(١٦) ـ ردود على أباطيل لمحمد الحامد (١ / ٩).

منهزمين أمام قوة الحق الماحق " [١٧]. ولذلك نجده يصف نفسه بأنه سوط من نار على كل يحاول قلب الحقائق الدينية معانيها وإلباس الباطل ثوب الحق.[١٨]

وقد جهر بالحق في قوة ويقين عندما أفتى بأن مال الدولة حرام فيما نصه " ولست أعني بهذا غالب مال الدولة الآن حلال، كلا فإن الغالب عليه الحرمة كما هو مشاهد لاختلاط الضرائب غير المشروعة بالفوائد الربوية وبغيرها "[١٩].

كما رد على وزير الأوقاف عندما أذن للنساء أن يصلين حاسرات الرؤوس والذراعين، فقال ما نصه: " ولا يملك وزير الأوقاف السماح أن يصلين حاسرات الرؤوس والذراعين، وإذنه في هذا لا يعمل عمله الشرعي "[٢٠].

ولقد وقف بشدة أمام ما أقدمت عليه بعض الجهات الرسمية من نبش القبور من أجل تجميل المدينة، حيث صدع بما رآه حقاً وصواباً، معلناً:" وصفوة القول أن الذي نراه الآن من نبش القبور وإزالة معالمها للتجميل حرام، وقد وقفت موقفاً شديداً في بلدنا من أجل هذا النبش"[٢١].

وكان ــ رحمه الله تعالى ــ يعلم طلابه الشجاعة في الحق أيضاً فقد دعاه مدير مدرسة ابن رشد التي يدرس بها من غرفة الصف التي يلقي بها درسه على طلاب الصف الثاني الثانوي، وطلب منه الحضور إلى الإدارة، فحضر وترك عصاه الغليظة " عكازه " في الصف، فقال له المدير: إن المحافظ يريد أن يلتقي بك الآن لأمور مهمة، فرجع إلى الصف قبل أن ينطلق إلى مكتب محافظ المدينة وأخذ " عكازه " من غرفة الصف، وقال لتلاميذه: هاتوها فقد تلزم.. ففهم طلابه معنى كلامه وضحكوا، وكان ذلك عام ١٩٦١م[٢٢].

جهاده:

لقد أمضى الشيخ ــ رحمه الله ــ حياته كلها في ميادين الجهاد، من ذلك جهاده ضد المستعمر الفرنسي حيث أذكى بخطبه الحماسية جذوة النضال والجهاد في قلوب أبناء الأمة الإسلامية، ودعاهم إلى الثورة على المستعمرين وتطهير البلاد منهم، قال في إحدى خطبه: " أما بعد ؛ فالمعهود بإزالة النجاسة استعمال الماء، وإن تفاحش غلظها أضيف إليها التراب، قال صلى الله

(١٧) ـ المصدر نفسه (١ / ٦٠٠).
(١٨) ـ المصدر نفسه (٢ / ٧٣).
(١٩) ـ المصدر نفسه (١ / ٢٤٢).
(٢٠) ـ المصدر نفسه (١/ ١٧٨).
(٢١) ـ المصدر نفسه (١ / ٩٩).
(٢٢) ـ نقول شخصية.

عليه وسلم :"إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم، فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب " [٢٣] ولكن هناك نجاسة لابستنا ربع قرن، ولا ينفع في إزالتها ماء ولا تراب إذ ليس ما يقلعها إلا الحديد والنار"[٢٤].

وقال في خطبة أخرى: " أيها المسلمون، أعدوا أنفسكم للجهاد، ووطنوها على الموت، موت شريف خير من حياة تعيسة، ضربة بسيف في عز خير من صفعة بيد في ذل، طعنة برمح في شرف أحب إلى القلب الكبير من نظرة شزراء في مهانة، ركوب الصعاب والأهوال في ارتفاع أجمل بكثير من الراحة والدعة في استخذاء.

أيها الإخوان، لقد استخفت فرنسا بنا، وخاست بكل العهود، ولم ترع للمواثيق حرمة، لقد طلبت منا آخراً أن نقبل أموراً، فيها ترسيخ أقدامها في هذه البلاد واستعباد أهلها، فاغضبوا ثم اغضبوا، وثوروا ثم ثوروا، فما عاد السكون ينفع، وما عاد السكوت يفيد "[٢٥].

ولما وقع اغتصاب فلسطين، كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ قد نادى بالخروج للجهاد، بل إنه أراد الخروج بنفسه " ولكن كبار العلماء أشاروا عليه بالبقاء لحاجة الأمة إليه، ولكثرة عدد المجاهدين، فانضم إلى اللجان المشكلة لأجل مساعدة اللاجئين ومواساتهم، وجمع المعونات المادية لهم، وكان يطوف على الناس بنفسه لهذا الغرض. ولقد استحوذت قضية فلسطين على اهتمامه، فخصص لها الكثير من خطبه المنبرية، وكتب عنها عدداً من المقالات في الصحف والمجلات[٢٦]"[٢٧].

كان جريئا في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، ينفذ الحق حيثما كان ومع أي شخص كان، حتى مع كبار المسئولين في الدولة " حاول أحد المسئولين في عهود سابقة، أن ينتزع من الشيخ اعترافا بشرعية عمل سيقوم بتنفيذه، وهو ليس شرعيا. فما كان من الشيخ بعد جدال طويل إلا أن انتفض وهو يقول: " هذا العلم أمانة في أعناقنا ولن نخون أمانة الله " وترك المجلس وخرج. وقابله بعد ذلك هذا المسؤول على طريق حمص عائدا إلى حماة، فدعا الشيخ إلى السيارة ليوصله بها إلى حماة، فأجابه الشيخ: " هذه السيارة ملك للدولة، ولا يجوز لك أن

---

(٢٣) ـ أخرجه مسلم في الصحيح، باب حكم ولوغ الكلب (١ / ٢٣٤) حديث رقم (٢٧٩) وأخرجه أبوداود في السنن، كتاب الطهارة، باب الوضوء بسؤر الكلب (١ / ١٩) حديث رقم (٧١)، وأخرجه النسائي في السنن، باب سؤر الكلب (١ / ١٧٦) حديث رقم (٣٣٥) وأخرجه أحمد في المسند، (٢ / ٢٤٥) حديث رقم (٧٣٤١).

(٢٤) ـ العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٣٧).

(٢٥) ـ المصدر السابق (ص ٣٨).

٢٦ ـ راجع ما كتبه عن القضية الفلسطينية في كتابه: ردود على أباطيل (١ / ٤٤١ وما بعدها).

٢٧ ـ العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٣٩).

تستعملها إلا في المصالح العامة، فكيف تدعوني إلى استعمالها ؟ ". ورفض رحمه الله دعوته. ودعاه مرة رئيس الدولة في بعض العهود لحضور حفلة رسمية، تقام في حمص، فأجابه: إنها ستقام في مكان تشرب به الخمور، وسيحضرها النساء مع الرجال، فلا أستطيع مشاهدة هذه المنـــكرات "[٢٨].

كما كانت له مواقف جهادية رائعة وشجاعة ضد مخلفات المستعمر الإلحادية العلمانية من لذين فرقوا وحـــدة الأمة ومزقوها، وبذلك بقيت حماة قلعة للإسلام.

حكمته:

وقد كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يتحلى بهذه الصفة الحسنة، وذلك من خلال النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف، فكان لا يتبع أسلوبا واحدا مع كل الناس، بل كان ينزل الناس منازلهم، ويخاطب كل إنسان بلغة يفهمها ويقبلها بوقت واحد " يبحث عن جانب الخير عند الإنسان، فيدخل إلى قلبه عن طريقه، وما يزال ينمي عنده هذا الجانب، ويثني عليه به، حتى يفتح له قلبه ويسلم للشيخ قياده، وعندها يوجهه ــ رحمه الله ــ إلى الحق ويبعده عن المنكر "[٢٩].

ومن حكمته ــ كما يروى عنه عدد من تلاميذه ــ أنه استطاع أن يحقن دماء وينقذ نفوساً من الموت وذلك في الأحداث التي وقعت في حماة عام ١٩٦٤م، وذلك بأخذه وفدا كبيرا من أعيان حماة وعلمائها ورجالاتها إلى دمشق ليلتقوا برئيس الجمهورية أمين الحافظ وقد استطاع أن يأخذ أخيرا قرارا جمهوريا بالعفو العام عن كل المساجين وفتح دكاكين حماة ومؤسساتها بيده منعا للفتنة.

وكان ــ رحمه الله تعالى ــ حكيما في الرد على الاستفتاءات الحرجة التي ترد عليه من بعض المستفتين ومن ذلك أنه في عهد الوحدة بين سورية ومصر أممت الدولة المعامل والمصانع التابعة للأفراد، كما أممت عدة شركات واعتبرتها ملكا للدولة، وكان يومها من يعترض على سياسة التأميم يتعرض لعقوبات قاسية جدا، وفي أحد الأيام جاءه بعض الناس يسألونه عن رأيه في التأميم، فأجاب رحمه الله تعالى بشجاعة وحكمة وذكاء وعلو صوت فقال: أنت تعرف أنه حرام فلم تسألني[٣٠]؟

---

(٢٨) ـ المصدر السابق (ص ٢٣٠، ٢٣١).
(٢٩) ـ العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٣٠).
(٣٠) ـ نقول شخصية.

وفاؤه:

لقد تمثل هذا الخلق النبوي في شخصه رحمه الله تعالى، وأصبح سجية من سجاياه، لا تجد فيه أي تصنع أو تكلف، فما من أحد صنع معه معروفاً إلا شكر له صنيعه وكافأه عليه، مهما كان هذا المعروف قليلاً، يقول تلميذه عبد الحميد طهماز: "سمعته يثني على شخص ثناء كثيراً، ويدعو له أكثر من مرة، لأنه ناول الشيخ إبريق ماء طلبه منه"[٣١].

ومن وفائه كثرة ذكره لشيخه ومرشده أبي النصر، فقلّ أن تجلس معه في مجلس إلا ويحدثك عن شيخه وفاء له على ما أرشده إلى طريق الهداية النورانية " وقد تجلّى هذا الوفاء بصورة عملية في حبه واحترامه لأولاد أبي النصر وأحفاده"[٣٢].

ويحدثنا تلميذه عبد الحميد طهماز عن وفائه حتى مع الحيوانات، فقد لجأ مرة هرّ إلى بيته فرباه وحنا عليه، ولكن الهر لما كبر عاث في البيت فساداً، فاضطر الشيخ بعد إلحاح أهل البيت، أن يبعد الهرّ إلى بيت صديق له في أطراف البلد، وكان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يزور صاحب البيت من أجل رؤية الهر والاطمئنان عليه[٣٣].

ومن وفائه حنينه إلى بلده وحنينه إلى أهل الفضل في أي بلد عاش بها، وسيأتي هذا في أدبه وشعره.

رحمته"

الرحمة هي الرقة والعطف[٣٤] في المخلوقات يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: **(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)**[٣٥].

كان الشيخ محمد الحامد ــ رحمه الله تعالى ــ يمتاز بهذا الخلق الرفيع الذي يدل على رقة قلبه ونداوة نفسه، فقد كان رحيم القلب، واسع الصدر، يحمل الكَلّ ويساعد الفقراء والمساكين، ويحنو على الأيتام. يروي تلميذه عبد الحميد طهماز أنه " وقف مرة أمام بيت لا باب له، فنادى امرأة باسمها، فلما خرجت إليه، سألها عن باب البيت، فقالت: يا شيخي إن المال الذي

---

٣١ ـ العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٤٠).
٣٢ ـ نفس المصدر (ص ٢٣٩).
٣٣ ـ نفس المصدر (ص ٢٤١).
٣٤ ـ مختار الصحاح (ص ١٠٠)
٣٥ ـ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، رقم (٨٤٧) قال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب رقم (٤٢٩٠) وأحمد في مسنده رقم (٦٢٠٦).

قدمته لنا لم يكف، فأخرج كيس نقوده ومازال يعطيها حتى قالت له: أصبح الآن كافياً"[٣٦].

يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ: **(لا تنزع الرحمة إلا من شقي)**[٣٧].

أما رحمته مع الحيوان فيحدثنا عنها تلميذه عبد الحميد طهماز فيقول: (أصاب سائق السيارة التي يركبها الشيخ بسيارته كلبا خطأ على طريق حمص، فأسرع ــ رحمه الله تعال ــ إلى حماة وكلف الطبيب البيطري أن يخرج لمعالجته، وكان يوما باردا، ومع ذلك، لم يجد الطبيب بدا من الخروج تنفيذا لرغبة الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ولما عاد الدكتور أخبر الشيخ أنه وجده ميتا فتألم الشيخ كثيرا، وتصدق على الفقراء.

وسمع مرة وهو في طريقه إلى البيت بعد الدرس المسائي صوت هرّ في داخل الحوانيت المغلقة، فسأل الحارس عن صاحب الحانوت، وأخذ يبحث في الليل عن بيته، حتى وجده وطلب منه أن يذهب لإخراج الهر من الحانوت "[٣٨]. وتكرر هذا مرات عدة في حوانيت سوق الطويل في حماة.

نوادره ولطائفه:

يحدثنا عنه أحد تلامذته فيقول: " وشيخنا أديب فكه لا تكاد تفارقه دعابته الحلوة الظريفة في أضيق الأوقات وأحرج المواقف، وقد لا تجد له صاحبا أو تلميذاً أو أخاً إلا وله معه فكاهة ودعابة يذكرها ويعتز بها"[٣٩].

فقد كانت النكتة جاهزة معه في كل لحظة، وفي كل وقت ليخفف عن السامع بالرغم من هيبته، وكان كثيرا ما يروي تلك النوادر والنكت في درسه الفقهي [٤٠].

ومن الطرائف التي وقعت له في مصر أن اللصوص سطوا على غرفته فسرقوا ملابسه كلها، واضطر إلى شراء ملابس جديدة غيرها فكتب إلى شيخه يقول: " قد أنبت الله تعالى ريشي، بعد أن سطا السارقون على غرفتي في غيابي، وسرقوا منها ثيابي، وقد شاء الله تعالى أن يلبسني ثياباً جديدة، فالجبة جديدة، والثوب جديد، والطاقية جديدة، والعمامة جديدة، والجراب جديد، واللباسة أيضاً جديدة، ولا ينقصني إلا عروس جديدة،وفرح بها جديد " [٤١].

ومن نوادره العملية في إحسانه ــ كما روى أحد تلامذته: أنّ رجلاً افتقر بعد غنى، وصعب عليه العمل اليدوي، فلا يستطيع شيئا من ذلك، فقعد في بيته في حماة، وفي يوم من الأيام وقعت صرة في وسط الدار ففتحها، فوجد فيها مالا، فتكرر الأمر عليه عدة مرات، وفي آخر

---

٣٦ ـ العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (٢٢٦).

٣٧ ـ أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة رقم (١٨٤٦) قال: هذا حديث حسن صحيح وأبو داود في سننه، كتاب الأدب رقم (٤٢٩١) وأحمد في مسنده رقم (٧٦٦٠).

(١) ـ العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٢٦، ٢٢٧) ونقول شخصية متعددة.

(٣) ـ نقول شخصية.

(٤٠) ـ نقول شخصية متعددة.

(٤١) ـ العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (٢٤٥، ٢٤٦).

مرة ترك الصرة وأسرع نحو باب الدار ففتحه لينظر من الذي يرمي هذه الصرة كل مرة، فإذا به يرى الشيخ محمد الحامد وقد ولى هارباً[٤٢]. ويذكرنا هذا بقصة جابر عثرات الكرام الشهيرة.

" وفي مصر التقى ظرف الشيخ ولطفه مع ظرف أهل مصر ولطفهم وحبهم للدعابة، حتى اشتهر بينهم، ولما كانت أكثر نكاتهم تتصل بالفول ــ طعام عامتهم الرئيس ــ أصبح الشيخ عندهم ملكاً للفول، وبايعوه على هذا فقال رحمه الله تعالى:

يا عصبة الفول أشياخاً وشباناً ودام مربعكم بالفول مزدانا
عشقتم الفول أشياخاً وشبانا وقد أقمتم لهذا العشق برهانا
هذي قدوركم بالفول زاخرة أزيزها ملأ الأكوان ألحانا
وريحها عطّر الأرجاءَ قاطبةً حتى غدا كل قلب فيه ولهانا
وقد أحبكم من ليس يعرفكم والأذن تعشق قبل العين أحيانا[٤٣]

من أدبه وشعره[٤٤]

لقد شهد المعاصرون للشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بأنّ مؤلفاته تتسم بعذوبة اللفظ وقوة البيان، وأسلوب بياني راق وجذاب مع حسن الصياغة والعرض وجودة التأليف والإكثار من المحسنات اللفظية، وتبسيط المعلومات بأسلوب سهل بعيد عن الجفاف والتعقيد.

يقول عنه تلميذه الشاعر عبد القادر حداد[٤٥]:

إنّ في قولك الكريم لسحراً صادق النبر صافياً عربيا
إذ على كل لفظة نبضات تشعر النفس بالبيان نديا
منطق ساحر وحس وشعر فقت فيه الحبيب[٤٦] والبحتريا[٤٧]

أغراض شعره:

ــ المديح:

له شعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه:

---

(٢) ـ نقول شخصية.
(٤٣) - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (٢٤٣، ٢٤٤)
(٤٤)- فتحي عبد القادر، رسالته للماجستير الموسومة بـ (العلامة محمد الحامد ومنهجه في الفقه و الفتوى)
(٤٥) ـ شاعر أصيل ومدرس للغة العربية في حماة ثم في المهجر في الكويت توفي بعمان في الثمانينات ـ نقول شخصية.
(٤٦) ـ حبيب بن أوس، هوأبوتمام، حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي، من حوران. أسلم وكان نصرانيا مدح الخلفاء والكبراء، وشعره من الذروة، ولد في أيام الرشيد. مات في محرم سنة (٢٣٢ هـ) وقيل: سنة (٢٢٨ هـ) كان واحد عصره في ددبياجة لفظه، وفصاحة شعره، وحسن أسلوبه، له كتاب " فحول الشعراء " سير أعلام النبلاء (١١ / ٦٣).
(٥) - هوأبوعبادة الوليد بن عبيد بن يحى بن عبيد الطائي البحتري، مدح الخلفاء وعاش نيفا وسبعين سنة ونظمه في أعلى الذروة مات (بمنج) وقيل (بحلب) سنة ثلاث أوأربع وثمانين ومائتين. سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٨٦).

يا حبيب الرحمن، يا صفوة الخلـــ ـــق ويا منيتي وراحة روحي
يا وليي وســـيدي وإمـــامي أنت لي خير مشفق ونصيح

كما مدح بعض إخوانه الذين عرفهم في مصر (١٩٤٠ م) فقال:

أحبائي هذا فؤادي لـــكم وهذي عيوني وهذي دموعي
لقد فَعَل الشوق بي فعـــله وما مِنْ مجيبٍ وما مِنْ سميعِ
تركت بمصر صحابا كراما لهم طار شوقي وَشَتَّ ولوعي
رجالٌ لهم في التقى مأرب تلوحُ عليهم سماتُ الخشوعِ[٤٨]

الوصف والحنين:

يصف شوقه إلى حماة بعدما غادرها لطلب العلم إلى حلب عام (١٩٢٨ م) وكان عمره آنذاك ثماني عشرة سنة فيقول:

آهاً على وادي حمـــا ةَ إذا نســيمُ الصّبــحِ هبّا
آها على تلك الرُبـــو عِ وأهلها بعـــداً وقُـــربا
النهرُ يخترقُ الرّيَـــا ضَ وقد جرى حلواً وعذبا
دولابه يبكي ويسقي الدمـــع فـــاكهـــةً وأبّـــا
يا مـــن بقلبي ودّهم وبحقهم لمْ أجـــنِ ذنـــبا
لا تقطـــعوني إنـــنـــي قـــد كنت والله الـــمحبـــا [٤٩]

وقال في حمص وشيخه فيها:

تترامى روحي إلى أرض حمص وفؤادي تهزه الأشواق
وبروحي حـــب أقام بقـــلبي هو للداء كـــله ترياق[٥٠]

وقال يمدح صديقه الأول عالم المعرة أحمد الحصري:

حُيِّيتِ يا أرض المعرة فيك الكرامـــة والمـــبرة

---

(٤٨) ـ مجلة حضارة الإسلام (العدد الثالث ـ السنة العاشرة ، تموز وآب ١٩٦٩) مقال بعنوان: الجانب الأدبي في شخصية العلامة الراحل محمد الحامد لعبد القادر حداد (ص ٩٦ وما بعدها).
(٤٩) مجلة حضارة الإسلام (العدد الثالث ـ السنة العاشرة ، تموز وآب ١٩٦٩) مقال بعنوان: الجانب الأدبي في شخصية العلامة الراحل محمد الحامد لعبد القادر حداد (ص ٩٦ وما بعدها).
(٥٠) ـ العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٥٩).

فِيكِ الحياةُ وفي حما ... كِ الروحُ تَسرحُ في مَسَرّة
مِنْكِ الذي هو ساكنٌ ... في القلبِ إمساءً وبكرة
إن غاب عني غِبْتُ عن ... أُنسي ولاقــتني المَضَــرَّة[٥١]

معالم منهجه[٥٢]

- المذهب الحنفي هو مذهب الشيخ محمد الحامد، ولكنه كان يتورع أن يفتي بالمذهب الحنفي في حال وجود نصوص من السنة الصحيحة تؤيد المذاهب الأخرى. فهو مع النص أينما دار.
- ويمتاز علمه بالفقه بالسعة والشمول، إذ يوفي ما يكتب حقه من الأدلة الشرعية وأقوال الفقهاء
- وكان يمزج رحمه الله بين الحكم الفقهي الذي يعطيه والموعظة الحسنة، والإرشاد والتوجيه لما فيه خير الأمة.
- كان لا يشهر بالمخالف لقوله الفقهي بل يتلطف به لعله يقبل أدلته وقوله.
- وكان يعتبر المصلحة المرسلة المعاصرة، ويسد الذرائع في فتاواه، ويأخذ بالأحوط للبعد عن المعاصي وليمتثل التقوى أحسن امتثال، يشاور في درسه الخاص العلماء الذين يحضرونه في فتاواه حتى انه يرسل بعض كتبه إلى علماء دمشق أو علماء بغداد ليتأكد من أن الأقوال الفقهية المعاصرة التي أخذ بها هي الصواب بعينه.
- الأمانة العلمية أصل عنده فلا ينقل من كتاب إلا ويشير إليه مع دقة في نقله رحمه الله تعالى.

وفاته:

توفي الشيخ الحامد ليلة الثلاثاء في التاسع عشر من صفر بعد صلاة العشاء بثلث ساعة تقريباً في حماة عام ١٣٨٩هـ الموافق ١٩٦٩م وقد بلغ من العمر تسعاً وخمسينَ سنة ميلادية أو إحدى وستون سنة هجرية.

نعم لقد تناقلت نبأ وفاته الإذاعات العربية، وعددت مناقبه، وضجَّتْ مآذنُ حماة وحمص بالتهليل والتكبير وطلب الرحمة من رب العالمين. وبلل ثرى قبره مطر غزير هطل في غير أوانه ليختلط مع دموع المحبين فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى.

(٥١) ـ العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٦٨).
(٥٢) - فتحي عبد القادر، رسالة الماجستير: (العلامة محمد الحامد ومنهجه في الفقه و الفتوى).